

العام الهجري الجديد وقفات ودروس



الحمد لله تعالى المنزه عن النقصان، سبحانه وتعالى عظيم الشان والصلاة والسلام على نبيه محمد الطاهر وآله وصحبه أهل التقى والمآثر وبعد:

في سنة ست عشرة من الهجرة كان ذلك القرار الميمون بمرسوم عمري طاهر يحكي طهارة ذلك الجيل الذي رباه النبي صلى الله عليه وسلم فيها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصدر أمراً أن يتعامل المسلمون بالتاريخ الهجري ويتركوا ما سواه من التاريخ، فغدا التاريخ الهجري هو التاريخ المقدم عند المسلمين، يردون إليه ويصدرون عنه.

أخي المسلم: وها نحن نقدم الخطى لنعبر عتبات عام منصرم لندخل عاماً جديداً.

وما أعظم أن يدرك المسلم عظمة هذا التاريخ، ولكن هل يكفي هذا، وقد انفرط عقد النظام؟!!

أخي: كم هو مؤلم أن لا يتجاوز نظر المسلم موضع قدميه، فهذه هي جماعات المسلمين أفراداً وزرافات يحتفلون بميلاد عام هجري جديد، وهم إذ يحتفلون بذلك نسوا بأمر من أخذوا في احتفالهم هذا؟ هل كان ذلك بأمر من الله تعالى في كتابه العزيز؟ أم بأمر رسوله؟ أم هم مقتدون بصحابة النبي صلى الله عليه وسلم؟!!

إنه لمن الخطأ الواضح أن يقدم المسلمون على فعل ليس له أصل من كتاب ولا سنة وهذا النبي صلى الله عليه وآله عليه **{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}** وسلم يأمره الله تعالى أن لا يتجاوز وحيه [الأنعام:601].

وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته بالاتباع ونهاها عن الإحداث وأن من أحدث حدثاً في الدين فهو مردود عليه [رواه البخاري]. **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**

أخي في الله: ألا أدلك على خير من ذلك كله، وهو خير لك في معاشك ومعادك، فسأنصح عليك من طيب النصيح، فهل من طالب لأريج المسك ونفحات العطر؟!!

أخي: هل تذكرت نعمة الإسلام؟ والتي فاقت كل نعمة وما أعظمه من ميلاد يوم أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم يدين الإسلام فأخرج العباد من الظلام إلى النور ومن الضلال إلى الهدى، **قال الإمام ابن رجب:** " رحم الله {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} عباده بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فأنقذهم من الضلال كما قال تعالى: [الجمعة:4] فمن {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنبياء:701] ولهذا قال الله تعالى: حصل له نصيب من دين الإسلام فقد حصل له الفضل العظيم وقد عظمت عليه نعمة الله فما أحوجه إلى القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها والثبات عليها إلى الممات والموت عليها فبذلك تتم النعمة " .

كم يمر العام الهجري على المسلمين وأكثرهم لا يتذكر هذه النعمة الجليلة، ولا يلتفت إليها إلا إذا مرَّ عليه رأس العام الهجري الجديد، فلا يتذكر ذلك إلا تذكر الغافلين، فما أعظمها من مصيبة.

ثم أخي المسلم: وأنت تتذكر العام الهجري الجديد هل خطر ببالك ذلك المصاب العظيم والذي زلزل المدينة الطاهرة يوم حدوثه؟

وهو موت النبي صلى الله عليه وسلم كم وكم من المسلمين لا ينتبهون لذلك، وهو الحدث الذي آذن بأول شرط من أشراط الساعة، نعم لقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم لنا كتاب الله تعالى وسنته الطاهرة ولكن فقد له وقعه الخاص على النفوس، هذا **أبو الجوزاء يقول:** "كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبدالله ثق بالله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة".

إصبر لكل مصيبة وتجلد * وأعلم بأن المرء غير مخلّد**

واصبر كما صبر الكرامُ فإنها * تُوبُ تُوبُ اليومَ تُكشِفُ في غد**

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد**

كم تمر على المسلم الأعوام والحال هي هي!! لا يتغير ولا يتبدل عما هو فيه من غفلة وقسوة في القلب **أخي:** ومعاص بلغت عنان السماء، وأمر الرحمن معطلة وأوامر الشيطان تنفذ انشغل الناس بالمعاصي، فإذا كان العام الهجري الجديد، قالوا: هذا هو العام الجديد.

ولكن..

أخي المسلم: أين الجديد من أفعالك؟ أين الجديد من أقوالك؟ ألا يوجد قلب تاه يفكر فيما مضى من العمر وانصرم {أَقْتَبِذُوهُ} العجب ممن عرف ربه ثم عصاه وعرف الشيطان ثم أطاعه: **قال الإمام ابن رجب:** من الساعات!! [الكهف:05]. لما أهبط آدم إلى الأرض وُعد العود إلى الجنة وَذُرِّيَّتُهُ أَوْلِيَاءُ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ نَّسَّ لِلظَّالِمِينَ {يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا هُوَ مِن آمن من ذريته واتبع الرسل [الأعراف:53] المؤمنون في دار الدنيا في سفر جهاد يجاهدون فيه النفوس والهوى، خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} فإذا انقضى سفر الجهاد عادوا إلى وطنهم الأول الذي كانوا فيه في صلب أبيهم تكفل الله للمجاهد في سبيله أن يرده إلى وطنه بما نال من أجر أو غنية".

أخي في الله: ها هي الأرض تعج بالمعاصي والذنوب وتجأر إلى الله من ذلك، وقد غاب عن القلوب الرقيب والمذكر، فكانت المصائب والويلات التي تجرع المسلم مرارتها، زلازل فيضانات ومجاعات وحروب وكسوف بين {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمُ الْحَيْنَ وَالْآخِرَ، فلا أحد يرعوي ولا مقلع عن الهوى "أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء قال مجاهد: [الروم:14]. بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} جار فهو بحر".

أخي: بلاء في بلاء وتمر السنين والشهور في ازدياد، **قال مجاهد:** "إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم"، **وقال عكرمة:** "دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بني آدم"، **وقال بعض الصالحين وقد شكى إليه الناس بلاء وقع:** "ما أرى ما أتمم فيه غلا بشؤم الذنوب". **وقال الإمام ابن القيم:** "ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن".

أخي المسلم: أما آن لك أن تدرك وأنت تدخل عاماً هجرياً جديداً، أن المعاصي والذنوب سبب من أسباب الذل والمهانة، وكم تأتي المعاصي بتسلط العداء والذل والصغار.

ومن دعاء الإمام أحمد ((اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة)) فقد كان من عامة دعاء إبراهيم بن أدهم: ((اللهم أعزني بطاعتك ولا تدلني بمعصيتك)) بن حنبل:

أخي: هذه فرصة جديدة لك إن قُدر لك أن تحيا هذا العام الجديد، فليكن لك من نفسك رقيباً، فإن الله تعالى محص «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط عليك أعمالك إن كانت خيراً أو شراً، قال صلى الله عليه وسلم: ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابُه نور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما [رواه مسلم]. انتهى إليه بصره من خلقه»

أخي المسلم: هل فكرت في أن لا يرفع لك إلا عمل صالح؟ فإن ساعات العمر محسوبة وكل يوم يمضي من حياتك {مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} ينقص به يوم من عمرك يكتب لك فيه ما قلته من قول أو فعلته من فعل " يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتى إنه يكتب قوله: أكلتُ وشربتُ قال ابن عباس رضي الله عنهما: [ق:81]، وذهبتُ وجئتُ ورأيتُ حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير وشر وألقي سائرته [الرعد:93]. " {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} فذلك قوله تعالى:

أخي في الله: كم كان الصالحون يحرصون على إحصاء ساعات الليل والنهار وكم كانوا يشفقون أن ترفع لهم أعمال سيئة، فوا حسرة أهل الدنيا عندما فاتتهم هذه اللذة، لقد كان إبراهيم النخعي يبكي إلى إمرأته يوم الخميس وتبكي إليه ويقول: "اليوم تعرض أعمالنا على الله عز وجل" وكان الضحاك يبكي آخر النهار ويقول: "لا أدري ما رُفع من عملي، يا من عمله معروض على من يعلم السر وأخفى لا تبهرج فإن الناقد بصير".

قال الإمام ابن القيم: "إضاعة الوقت أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها". وقال أيضاً رحمه الله: "أعظم الريح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها".

أخي المسلم: هل فكرت يوماً وأنت تحاسب نفسك كم صعد لك من الأعمال الصالحة؟ من صلاة وصيام وصدقة «لا تزول قدما عبد يوم وقراه للقرآن وذكر لله تعالى، إنها الأيام تمر وإنه العمر ينقضي قال صلى الله عليه وسلم: القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن عمله فيم فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه [رواه الترمذي]. فيم أبلاه»

أخي المسلم: هو عمرك فلا تقضه إلا في الطاعات حتى يأتبك الموت قال الحسن البصري رحمه الله: "إن الله لم [الحجر:99]. {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ثم قرأ:

أخي: كم مضى عليك من السنين؟ كم عمرت من العمر؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه «إن وعن وهيب بن الورد قال: [رواه البخاري]. «أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة» وسلم قال: لله ملكاً ينادي في السماء كل يوم وليلة أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين ماذا قدمتم؟ وماذا أخرتم؟ أبناء الثمانين لا عذر".

كم من العمر يمضي في غير طاعة الله؟! كم من الساعات تنقضي في اللهو والعبث؟! فعن ابن عباس عزيري: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [رواه البخاري]. والفراغ»

قال الإمام ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل:

يسر الفتى طول السلامة والبقا *** فكيف ترى طول السلامة يفعل

يُرَدُّ الفتى بعد اعتدال وصحة *** ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقال الطيبي: "ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمكلف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والخدق لئلا يغبن فالصحة والمال رأس المال

وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس وعدو الدين ليربح خيري الدنيا والآخرة، وقريب منه قول الله [الصف:01]، وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس ومعاملة {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} تعالى: الشيطان لئلا يضع رأس ماله مع الربح".

أخي المسلم: لقد استخلفك الله في الأرض لينظر جهاد المجاهدين في عبادته وطاعته، فيميز بين أوليائه وأعدائه، **قال الإمام ابن رجب:** "كم لله من لطف وحكمة في إهباط آدم إلى الأرض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين ولا صدعت زفرات أنفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين".

{**أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ (1)**} لقد أفنينا أعمارنا في حب الدنيا والتنافس في الاستزادة منها والتكاثر في إقتناء حطامها **أخي:** "وأعرض عن ذكر المكاثرة به إرادة لا طلاقة وعمومه وإن **قال الإمام ابن القيم:** [التكاثر:1-2]، **حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}** كل ما يكاثر به العبد غيره سوى طاعة الله ورسوله وما يعود عليه بنفع معاده فهو داخل في هذا التكاثر. فالتكاثر في كل شيء من مال أو جاه أو رئاسة أو نسوة أو حديث أو علم ولا سيما إذا لم يحتج إليه والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها.. والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله".

أخي المسلم: تمر عليك الأشهر سريعة وكل يوم فيها يطلبك بحظه من الطاعة، فإن المسلم لا تمضي عليه ساعة من ساعات عمره إلا وهي مشغولة بطاعة مولاه تعالى، حتى أنه ليمر عليه الصيف فيذكر حال من لا ظل له أو مسكن يؤويه من حر الشمس ولفحها أو من زمهرير الشتاء وقبل هذا كله يذكره الصيف بشدة نار جهنم ويذكره الشتاء بزمهريرها، **قال الإمام ابن رجب:** "من فضائل الشتاء أنه يذكر بزمهرير جهنم ويوجب الإستعاذة منها".

أخي المسلم: تلك هي حال المؤمنين الصادقين لا تمر عليهم أيام السنة، إلا وهم قد استزادوا من الصالحات وعلموا أوقاتهم بالطاعات وإذا أردت أن تعرف أخي أحوال الصالحين فتعال معي: قدم مسافر فيما مضى على أهله فسروا به وهناك امرأة من الصالحات فبكت **وقالت:** "ذكرني هذا بقدمه القدوم على الله عز وجل فمن مسرور ومثبور!!".

أرأيت أخي المسلم؟ ما أسعد الصالحين بمعرفة مولاهم، وما أرفع مقامهم بنهلهم من مورد الطاعات ومعين القربات، فوا حسرتاه على قوم فاتتهم هذه اللذات حتى خرجوا من دار الفناء والممات.

ألا إنما التقوى هي العز والكرم *** وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقى تقيصة *** إذا حقق التقوى وإن حاك أو حَجَمَ

أخي المسلم: اغتنم مواسم الطاعات وأيام القربات فلا تفوتك وأنت لاه غافل يمر عليك شهر شعبان فماذا أدبت من الطاعات؟ ويمر عليك شهر رمضان شهر الصبر والقرآن والقيام في أيامه الحسان فماذا أدبت فيه من الطاعات؟ وتمر عليك أشهر الحج أيام زيارة المشاعر المعظمة، فما الذي قدمته من القربات؟ وهل سكبت الدموع هنالك وشرت بين يدي مولاك الحاجات؟ **قال الإمام ابن رجب:** "هذه الشهور والأعوام والليالي والأيام كلها مقادير للأجال ومواقيت للأعمال ثم تنقضي سريعاً وتمضي جميعاً والذي أوجدتها وابتدعها وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول ودائم لا يحول هو في جميع الأوقات إله واحد ولأعمال عباده رقيب مشاهد، فسبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم ليسيع عليهم فيها فواضل النعم ويعاملهم بنهاية الجود والكرم، لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها الشهر الحرام وآخرها شهر الصيام أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة أشهر الحج إلى البيت الحرام فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف، المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ولا يأمل إلا قربه ورضاه، كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة ترة، فوا أسفاه على زمان ضاع في غير طاعته وواحسرتاه على وقت فات في غير خدمته".

أخي المسلم: لقد انصرمت السنين وذهبت الشهور والأيام والكثيرون في غيهم وضلالهم، أخي، عجل بالرجوع إلى {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا اللَّهَ فَهُوَ نَعْمَ الْمَرْجِعُ [الحديد:61]}. **الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ قَطَالٍ عَلَيْهِمُ اللَّأْمَدُ قَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ قَاسِقُونَ}**

«إن الله عزوجل الإنابة الإجابة.. التوبة التوبة قبل حلول الأجل وقطع الأمل قال صلى الله عليه وسلم: **أخي في الله:** [رواه أحمد والترمذي وابن حبان]، وعن طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز **قبل توبة العبد ما لم يغرغر**» [سبأ:45]، **{وَجِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَائِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ}** في قوله تعالى: **قالوا:** "طلبوا التوبة حين حيل بينهم وبينها".

ألسنا نرى شهوات النفوس *** تفنى وتبقى علينا الذنوبُ

يخاف على نفسه من يتوبُ *** فكيف يكن حال من لا يتوبُ

أنت منذ ستين سنة تسير إلى قال له: ستون سنة، **قال:** كم أتى عليك؟ قال الفضيل بن عياض رحمه الله لرجل: من علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فقال الفضيل: إنا لله وإنا إليه راجعون. **فقال الرجل:** ربك؟! يوشك أن تبلغ. **قال:** وماهي؟ **قال:** يسيرة. **قال:** فما الحيلة؟ **فقال له الرجل:** فليعلم أنه موقوف وإنه مسؤول فليعد للمسألة جواباً. تحسن فيما بقي فيغفر لك ما مضى فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي. **وقال الحسن البصري:** "اتق الله يا ابن آدم لا يجتمع عليك خصلتان سكرة الموت وحسرة الفوت".

أخي المسلم: احذر موت الفجأة وصرعة الغفلة، فقد جاء أن بعض المتقدمين سكر ليلة فعاتبته زوجته على ترك الصلاة، فحلف بطلاقها ثلاثاً لا يصلي ثلاثة أيام فاشتد عليه فراق زوجته فاستمر على ترك الصلاة مدة الأيام الثلاثة فمات فيها على حاله وهو مُصر على الخمر تارك للصلاة.

أخي في الله: أعاذني الله وإياك من الخواتم الرديئة، فإياك أخي على نفسك كم نأمل في هذه الدنيا حتى انقطعت بنا "لا تزال التوبة للعبد مبسوطة ما لم تأت الرسل فإذا عاينهم انقطعت المعرفة". **فردد قال بكر المزني:** الآمال؟! معي أخي:

ألا للموت كأس أي كأس *** وأنت لكأسه لا بد حاسي

إلى كم والممات إلى قريب *** تُدْكَرُ بالممات وأنت ناسي

أخي المسلم: تذكر بانقضاء السنين انقضاء الأعمار وبزوال الليل والنهار الدنو من دار القرار وبالحر والبرد جنان ربك والنار.

قد هياؤك لأمر لو فطنت له *** فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل

وأخذ الله بقلبي وقلبك إلى سبل المراضى وآمنني وإياك يوم ينادي المنادي.

دار ابن خزيمة
موقع كلمات

www.wathakker.net